كنوز هيكل ادب

Trésors du temple d'Adab.

(تتمة)

وقد سأل بعضهم ما الغرض من وجود تلك الآنية والامتعة في الهيكل ؟ قلنا : الجواب الوحيد هو ان الكهنة وسدنة الهيكل اتخذوها للزينة والاثارة في معابدهم كما اتخذ كهنة بني اسرائيل المصابيح المنيرة ، والقناديل المتقدة دائماً في مجامعهم ، وهياكلهم ، بل في الدور أيضاً للصلاة أو للعبادة ، وبعض تلك الظروف والسرج والمناور ، اتخذت لمجرد الزينة ، فكان باطنها وحراحاً صغيراً لا يسع إلا بعض قطرات من الزيت وكان ظاهر بعض تلك الاوعية رقيقاً جداً ، ويكاد يفنى ويتلاشى من كثرة الاستعمال ، ويحتمل ان هذه الاقداح كانت مشارب ماء ، اما الاوعية الكبيرة ، فكانت تتخذ أحراناً لحفظ الماء ، وخزن زيت المصابيح ، ومنها كانت تستعمل مجامر للبان ، وصحوناً يوضع فيها خبز التقدمة وغيره من الاطعمة امام تماثيل الآلهة ، لتحل بركتها عليها قبل تناولها ومنها ما كانت تقوم مقام أباريق للوضوء والتطهير من الاوساخ والادران ، وكان باطن معظم هذه الآنية مغشى بغشاء مادة سوداء ، ومنها ما كان نظيفاً جداً وايا كان الغرض من ذلك الغشاء ، فاننا نعلم انها استعملت لاغراض دينية في الهيكل . وقد دام استعمال هذه الاواني المقدسة الى عصر البابليين الاخير ؛ وكانت منزلتها سامية في معابدهم ، اذ كان مفروضاً عليهم اتخاذها عروضاً للزينة والزخرف ليزيدوا بذلك هياكلهم رونقاً وبهاءاً ، حتى قيل ان الرومان واليونان لم يفوقوهم في زخرفة هياكلهم .

ان اهمية الاقداح والقناني ، والمشارب ، والقدور ، والصحون ، والاوعية ، والمصابيح المنقوش عليها كتابات ، كانت اكثر من شقف الاواني الحجرية الخالية من الكتابة ؛ لان الاولى وقفت الاثريين على تاريخ الهيكل والمدينة في أوائل عهدهما ، وقد اكتشف النقابون خمساً وثلاثين شظية مكتوبة لا يختلف حجمها وشكلها وماديتها عن الشظايا الخالية من الكتابة .

وكانت بعض تلك الكتابات محفورة حفراً غير متقن على ظاهر الاناء ، ومنها ما كان قد اعتني بكتابته اعتناءاً دقيقاً ، كالاناء المصنوع من حجر الفرفير ، فانه آية في الابداع والاتقان ، وعلى ظاهره وفي باطنه نقوش كتابية بديعة . وقد حفر على كثير من تلك الظروف والاوعية كلمة واحدة هي (إي سار) ، وفي بعضها وردت كلمة هيكل بعدها لفظة اخرى معناها : « وقف لاي سار » .

ولم يرد ذكر اسم آلهة المحل على شظايا الآنية ، بيد ان اسم «ونجبر مخ» احد الآلهة الذي عبد في بسمى ظهر على صفائح الشظايا ووجدت طائفة من الاوعية مخطوطاً عليها كتابة اطول من الاولى كان قدمها الهيكل « بركي » ملك كبش .

كانت الشظايا المحفورة كثيرة جداً ، وكانت صورها بديعة وعديدة ، وشكلها ابسط من الشظايا الآنفة الذكر المكتوبة ، والخالية من الكتابة ، والحجر الذي نحتت منه كان رخواً وبينها وجدت شظية عليها صورة برج هيكل ، وتعد فريدة في نوعها وقد سبق وصفها . واخرى من حجر ازرق كان عليها صور تنانين وغيرها عليها صورة اوراق شجر غضة موضونة اي قائمة الواحدة منها فوق الاخرى ، وملتفة التفافاً يظنها الناظر اليها ورقة واحدة . ومن الاواني ما كان عليها خطوط متوازية واحدها قطع من اناء ملصق بالقار وهو ذو شكل بديع .

ان انفس شظايا الاوعية التي اصابها النقابون في خزانة ردم الهيكل ، كان منقوشاً ومرصعاً بنقوش بديعة مبهجة ، والاناء الذي يستحق ان يصف في مصاف اعلى واثمن كنوز الآثار المكتشفة في تلك الخزانة الاناء الحجري الازرق الذي يكاد يكون قائماً وقد بلغ اثنين وعشرين سنتيمتراً في قطر دائرته . اما ارتفاعه فلم يتحقق لان شظاياه كانت مثلمة الاطراف ، وقد ركبت شظيتان من شظاياه فظهر عليهما نقش بارز يمثل عشر صور : خمس منها تري موكباً على طرف جبل ، وكانت تلك الصور مكشوفة في اعلى صدرها الى حقويها ويستر عوراتها نقبة (تنورة) (١) تبلغ الركبتين .

١) في محيط المحيط : « التنورة والتنورية من الملابس : ما يحيط بالجسم من الخصر الى القدمين » اه . والكلمة عامية ولم ينبه عليها فيظنها القارئ انها

وضفائرها منسدلة على كتفيها وعلى رؤوسها قبعات مزركشة تشبه الخوذ، وفي احدى القبعات ثلاث ارياش بارزة ، ووراءها صبيان صغيران ، وفي قبعة كل منهما ريشة واحدة .

ان تلك الارياش تدل على ان اصحابها من سلالة الملوك ، ويظهر ان صاحب الارياش الثلاث هو الملك (١) ، وكل من صاحبي الريشة الواحدة ولده او ولي عهده . اما الرجلان السائران في مقدمة الموكب، فهما عوادان يوقعان على عودين ليشغلا بنغمهما اسماع اتباع الملك وحاشيته وللعود اطار من خشب وعلى وجهه سبعة أوتار ممدودة . بيد ان الاوتار اطول من الاطار ، وقد تدلت الى الامام وكان العوادان يوقعان باليد اليسرى ، وهـذا خلاف ما نعهده في عصرنا فات

فصيحة وانها واردة في كلام الاقدمين . والعوام اطلقوها على هذا الملبوس من باب الاستعارة ، لان شكله يشبه شكل التنور الذي يخبز فيه . اما صاحب البستان فلم يذكر التنورة ولا التنورية ظناً منه انها عامية وهو يتحاشى عن ذكر هذه اللفظة وامثالها ، مع انه قد ذكر كلماً عامية لا تحصى ولم ينبه على عاميتها .

اما الاقدمون من السلف فكانوا يقولون في معنى « التنورة » : « النطاق » و « النقبة » قال في لسان العرب : « قال ابو عبيد : والنقبة في غير هذا : ان تؤخذ القطعة من الثوب قدر السراويل ، فتجعل لها حجزة مخيطة من غير نيفق، وتشد كما تشد حجزة السراويل ، فاذا كان لها نيفق وساقان فهي سراويل ، فاذا لم يكن لها نيفق ولا ساقان ولا حجزة فهو « النطاق » .

وكانت تتخذ الصبايا شيئاً يشبه النقبة او النطاق يسمينه : الحوف والوثر والرهط وكلها بفتح الاول. فلتراجع هذه الالفاظ في د واوين اللغة . (لغة العرب)

١) من الغريب ان سلفنا العرب كانوا يتخذون الريش للدلالة على ان الريش من حباء الملوك . قال في تاج العروس : « ومن المجاز : أعطاه اي النعمان النابغة مائة من عصافير بريشها ، اي بلباسها واحلاسها . وذلك لان الرحال لها كالريش او لان الملوك كانت اذا حبت حباء جعلوا في اسنمة الابل ريشاً . وقيل : ريش النعامة ايعرف انه من حباء الملك . (لغة العرب)

الموقعين على آلات الطرب يضربون بيدهم اليمنى .

وقد جاءت صورة احدهم بهيئة رجل يسرع الى لقاء الموكب وهو مرتد ثقبة متخذة من العاج ، مركبة تركيباً دقيقاً في شق صنع لهذه الغاية . اما سائر الصور فكانت في اول امرها مرتدية ثقباً (تنورات) عاجية ، غير انها نزعت منها بصورة من الصور ، ولم تحافظ على حشمتها ووقارها ، إلا صورة ذاك الرجل الذي خف للقاء الموكب الحافل بالملك وولديه .

كانت جميع الخوذ والضفائر ، والاسورة ، والاحذية ، والعيون ، واوراق الاشجار الغضة ، القائمة على بعد من الموكب ، مرصعة ترصيعاً بديعاً ، وكانت لم تزل احدى قطع اللازورد معلقة باحد الاغصان . ان وجوه هذه الصور كانت تكاد غريبة المنظر ، لكبر انوف ذويها ؛ ولم يعثر المنقبون في كل ديار بابل على ما يضاهيها . ومما لاريب فيه ان اصحابها كانوا من الشمريين الاولين الذين سكنوا ديار الرافدين .

ان حذاقة الفن ومهارة الصناعة في هذا الاناء من ابدع ما يتصوره الفنان في هذا العصر . ويعد هذا الاناء من اقدم العروض وانفس الآثار التي كشفت في يسمى . ويذهب الدكتور جمس بنكس الى ان صورة هذا الموكب ناقصة . وعليه اقول: انه لو اتيح لاحد النقابين العثور على ما تخلف منها في الانقاض ، لظهرت بقيتها تمثل موكب ملك ظافر ، امامه العوادون ووراءه الاميران الصغيران ، يتبعهما الاعيان والقواد ، وجماهير من الاسرى ، ويحيط بهم جنود الملك ، ويفصل بينهم وبين افراد الشعب الذين خرجوا للقاء ملكهم الظافر . الكهنة وهم مرتدون ملابس الهيكل ، وفي ايديهم السعف علامة الانتصار والغلبة على الاعداء وهم ينشدون الاناشيد الدينية الحماسية ، وبايدي الرجال الغنائم والاسلاب ، وهم جذلون والنساء يهللن فرحات مغتبطات بفوز ملك البلاد العظيم .

وقد وجد في نفايات خزانة الهيكل . شظايا آنية اخرى . ومنها شظية اناء من الحجر الازرق مرصعة ، واطرافها قائمة ، علوها نحو ثمانية سنتيمترات وقطر دائرتها ستون سنتيمتراً ، ويطوق اطراف الاناء ثعبانان عظيمان مكوران معاً ، وجسماهما مرصعان باحجار براقة لامعة ، وعلى جسميهما الطويلين زرود

مرصعة باحجار براقة ؛ ولم يبق من تلك الزرود سوى زردين في احدهما تسعة ثقوب لتعليق الاحجار ، وفي الآخر ثمانية ، بيد ان تلك الاحجار قد فقدت ويظهر ان هذا الاناء الكبير كان قد اتخذ في الهيكل ، اما للزينة واما لطرد الارواح الخبيثة .

وقد عثر المنقبون على شظية اخرى مرصعة . وهي تمثل صورة بقرة ترضع عجلها واصابوا ايضاً شظية من الحجر الازرق الاصيفر الرخو طولها اثنا عشر سنتيمتراً ونصف في عرض ستة سنتيمترات ؛ وهي منقوشة ومرصعة من الظاهر ، أما باطنها فكان محفوراً عليه اسم « بركي ملك كيش » وكان النقش يمثل رأس ثعبان أو تنين ، وعينه مرصعة بحجر كريم . هذا وبعض اوان مصنوعة من حجر ابيض ، وعليها نقوش مشتبكة التركيب ، معقدة الشكل ، مزينة باخاديد مملوءة بالحمر ، ملصقاً بها حجر اللازورد ، ولا يزال في بعض تلك الخطوط المحفورة مواد الترصيع ثابتة في مواضعها .

ان منزلة المصابيح والقناديل والسرج التي وجدت في خزانة نفايات الهيكل منزلة اثرية عظيمة ، فضلا عن انها سائغة من المطب وبديعة للغاية ، وقد ظهر انها مصنوعة من اصداف البحر . وبعض تلك المصابيح الصدفية كانت صغيرة الحجم ، وقد اعدت لتقاوم عهد استعمالها . ووجد مصباح بهيئة صدفة ، وقد قطع وصقل فتحول قنديلا كاملا ، وحفرة صماخها في القمر ثالثة تصلح لان تكون مغرزاً للفتيلة ، طوله ستة عشر سنتيمتراً ، وارتفاعه ستة عشر سنتيمترات وعرضه تسعة سنتيمترات . وقد كشف المنقبون ايضاً مصباحاً آخر مصنوعاً من الحجر بالحجم والشكل المار ذكرهما ، بيد ان ظاهره يخدد أخاديد متوازية ، ووجدوا مصباحاً ثالثاً عليه خطوط مشتبكة ورابعاً عليه صورة رأس كبش وقد برزت من فمه الفتيلة . واصابوا شظية سراج يختلف عن البقية ، فيكاد يكون بيضي الشكل مستوى القمر . علوه ثمانية سنتيمترات ، وتكاد تكون اطرافه قائمة ، بليله طويل دقيق بارز ، ينتهي طرفه برأس كبش ، وفي قمره دعامة تشبه مقبض ابريق مربع . وقد عثر النقابون ايضاً على بعض مصابيح من طين وهي احدث عهداً من المار ذكرها ؛ وعصرها يرتقي المزمن استنباط دهان

الخزف في بابل . وشكل القنديل المصنوع من الطين في ديار بابل ، كان شائعاً في فلسطين ومصر وبلاد اليونان والرومان وشبيهاً بالقناديل الصدفية ، وقد صنع على مثالها .

قال الدكتور جمس بنكس النقابة الاميركي : انيلما كنت في بغداد اقتنيت طائفة صالحة من القناديل والسرج الصغيرة المصنوعة من الصلصال، وقد استخرجت من بين انقاض احدى المدن من عهد خلفاء العرب ، ولا يزيد حجمها عن صحون الزبد ، وكان باطنها مدهوناً بدهان ازرق . وظاهرها خالياً من ذاك الدهان ، وهو غير مصقول ، ولكل منها بليل . ونوع هذه المصابيح من عهد علاء الدين، وقد تصور امام مخيلتي فعل مصباح علاء الدين السحري العجيب، فقلت في نفسي: لعلي بينها قلت هذا ، وفركت باصبعي احدها ، فخاب ظني اذ لم يظهر امامي مارد ولا جان ، ليدلني على كنوز مطمورة ، او يحضر لي من عالم الخفاء اميرة حسناء .

لقد عثر المنقبون في خزانة نفايات الهيكل القديم على قطع من صور بقرات صغار مصنوعة من الهيصمي ذات اشكال بديعة وهي رابضة على الارض تجتر . ولا تزال عيونها العاجية وحدقها اللازوردية ثابتة في المحاجر ، وعلى ظهور تلك البقرات الحجرية آثار بينة تدل على ان الغرض منها كان تعليقها على جدران الهيكل للزينة . او الصاقها باناء كبير على سبيل التجمل والظهور بمظهر حسن جذاب؛ ووقع في ايدي النقابين ايضاً صفيحة من المرمر عرضها سبعة سنتيمترات، وعلوها خمسة سنتيمترات ، وعليها صورة انسان عريان محفورة حفراً خشناً ، وهو يسوق ثوراً وآثار القار والطلاء الاحمر لاتزال ظاهرة فيها ، تدل على انها كانت في حين مطلية بطلاء زاه لم تقو يد الطبيعة على محوه .

ووجد في تلك الخزانة سمك من العاج اسود وابيض ، طول الواحدة منها احد عشر سنتيمتراً ، وهيئتها منحنية كأنها تسبح في الماء . بيد انها مثقوبة من رأسها حتى ذنبها ، وهذا يدل على ان ابناء ذاك الجيل القديم كانوا يعلقونها على صدورهم ، أو يربطونها باذرعهم كعوذة لطرد الارواح الخبيثة عنهم . ووجد امثال هذه السمكات مصنوعة من الصدف لكنها عديمة الاتقان . ومن تلك اللقى:

قطط وحيوانات اخر وكلها مصنوعة من العاج . ومنها عقدة شريط وردية من العاج ، عرضها سنتيمتران وقد حفر عليها رسم نجم ورصعة بحجر كريم ، لكنه فقد . ووجدت عقدة شريط وردية اخرى اكبر من الاولى ، قطر دائرتها خمسة سنتيمترات وهي مصنوعة من الصدف (عرق اللؤلؤ) وعليها رسم نجم ايضاً ، ولا اثر للاحجار الكريمة التي رصعت بها في اول عهدها ، ويحتمل ان عقود الشريط الوردية وسائر التحف المصنوعة من العاج والصدف كانت تعلق على ملابس تماثيل الملوك ، لمجرد الزينة . وابدع بل انفس تحفة منحوتة من العاج صورة وعل يرتع فوق شجرة .

لم يعثر النقابون في خزانة نفايات الهيكل على تحف مصنوعة من الذهب والفضة ، بل وجدوا قطعاً قليلة من صحون نحاسية منبسطة ، وقد ملاها الصدأ فتأكلت كل التأكل حتى انها لم تقو على رؤية النور والهواء ، ولما رفعها الفعلة من بين الانقاض تكسرت كسراً عديدة قبل ان تمسها ايدي النقبين فتفتتت وتحولت تراباً ومما اصابوه مسامير من النحاس عند قاعدة الهيكل . وفي رواقه كشف اسد وصفائح نحاسية من عصور متأخرة في داخلها ثلاث فؤوس من النحاس ، طول الواحدة منها اربعة عشر سنتيمتراً ونصف في عرض خمسة سنتيمترات ونصف وعليها كتابة باسم الملك « أي شي أل فا أد دو » . وقد ظهرت هذه الكتابة على صفائح النحاس وعلى الواح المرمر ايضاً . وفي وسط صفائح النحاس ثقوب ادخل فيها مسامير كبيرة طول الواحد منها سبعة عشر سنتيمتراً وفي اطرافها خطوط محفورة لكي تثبت في الجدار حينما تنفذ فيه .

اما الادوات المصنوعة من الحجر فقد وجد في خزانة نفايات الهيكل اناء كبير هو المذكور آنفاً ، ووجد ايضاً رأس كبش قياسه اربعة عشر سنتيمتراً عرضاً وثلاثة سنتيمترات وربع بوزاً ، ولها قرنان معقوفان ممثلان احسن تمثيل ، وعينان كانتا مرصعتين . وفي فمه ثقب مستدير يصل الى ظهره المجوف . ويظهر ان ذلك الثقب كان يتخذ منفذاً لمجرى ماء من ينبوع . وفي ظهره ثقوب ايضاً لهذه الغاية . فلعلها كانت فوارة ماء كما هو جار الآن في بعض بيوتات بغداد .

اذ في وسط اقنية دورها شاذروان ينبجس الماء منه فيندفع الى فوق ثم يتناثر لآلىء ودرراً .

كانت كنوز الهيكل وخزانة نفاياته ثمينة جداً في نظر الاثريين والمؤرخين، وقد حاول النقاب الاميركي جمس بنكس ان يعثر على كنب الهيكل لكن ذهبت اتعابه ادراج الرياح . فقد كان من عادة البابليين ان يفردوا محلا خاصاً بخزائن كتبهم . نعم عثر النقابون على صفيحتين مكتوبتين وقمنا عرضاً من اصحابهما في رابية الهيكل ولكن عند ازالة ما عليها من الملح تفتتت كسراً ولم يوقف على ما فيها من الانباء .

هذا آخر ما وصلت اليه معاول النقابين في ذلك الهيكل القديم الذي يعد من انفس الآثار . واملنا ان القائمين بشؤون المتحفة العراقية يصونون ذلك الاثر القديم من طوارئ الزمان: فقد بات بعد التنقيب فيه ملجأ للصوص ومكمناً لقطاع الطرق. ويجدر بحكومتنا الساهرة على تقدم العراق ان تهتم كل الاهتمام بصيانة آثار البلاد وحفظها من الدثور والطموس .

رزوق عيسى

نظرات

ورد في هذه المجلة ٦ : ٢٩ س ٢٥ : (٢٧ رجب هو من الايام المعتبرة لدى الطائفة الجعفرية) . قلنا : لانه يوم بعث فيه محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله وسلم بالنبوة .

وفي ص ٣٢ س ٨ (واذا ذكر صاحب الزمان يقوم الناس على اقدامهم ويقولون: « عجل بالظهور يا صاحب الزمان ») (كذا) . والصواب : وإذا ذكر صاحب الزمان واسمه (القائم) يقوم الناس على اقدامهم وربما قال بعضهم: (عجل بالظهور يا صاحب الزمان) أو ما يقارب معناه .

وفي ص ٩١ س ١ : (اكر خستمجاني) الخ ثم فسر الكاتب هذه العبارة بقوله : اذا كنت مريضاً (كذا) . وخستمجان ليس بمعنى المريض بل هو الضجر لان (خسته) بالفارسية معناه التعبان وجان معناه الروح فيكون المراد تعب الروح وهو غير المريض .

محمد مهدي العلوي